



حرب أكتوبر وضرورة لجان التحقيق المستقلة

قرارات كارثية للسادات فى مركز 10 أثناء الحرب (2- 5)

بقلم : رائف محمد الويشى

11 أكتوبر 2009

تناولنا فى الحلقة الأولى الموقف العام للقوات المصرية والإسرائيلية حول ضفة قناة السويس وقبل بدأ المعارك .. سنطرح هنا فى الحلقة الثانية مجموعة القرارات العسكرية التى اتخذها السادات فى غرفة القيادة العامة أثناء سير المعارك وأجبر القيادة العسكرية على تنفيذها وهدد من عارضه بتحويله إلى المحاكمة العسكرية ..

ليس من السهل أن نذكر تفصيلا وفى مقال واحد تفاصيل تلك الحرب ، لكننا سنذكر أهم الأحداث التى كان لها الأثر الفعال :

* 6 أكتوبر / 13 أكتوبر :

حدث فى الأسبوع الأول من الحرب أزهى صفحات مصر العسكرية فى تاريخها بفضل الخبرة العسكرية التى تراكمت بعد النكسة وسنوات الاستنزاف الثلاث .. كان من نتائج هذا الأسبوع ما يلى :

إنجازات مصر :

عبور قوات النسق الأول وانجاز الخطة التى تم وضعها وهى احتلال مسافة 15 كيلو شرق القناة ، وكما ذكرنا فى الحلقة الأولى فإن وضع مصر العسكرى كان لايسمح بأكثر من ذلك بسبب الفجوة التسليحية بينها وبين إسرائيل والناجمة عن السخاء الأمريكى مع إسرائيل والتقطير السوفيتى مع مصر .

خسائر مصر :

50 دبابة (20 منهم فى اليوم الأول) + 500 شهيد (260 منهم فى اليوم الأول) + 15 طائرة (5 منهم فى اليوم الأول) .

خسائر إسرائيل :

تدمير قوات النسق الأول والثانى والثالث ومجموعها 350 دبابة + 300 دبابة من قوات النسق الرابع + إسقاط العشرات من طائرات إسرائيل وقد بلغ عددهم فى يوم 12 أكتوبر فقط 22 طائرة + مقتل المئات وأسر العشرات .. الأهم من ذلك كله أن إسرائيل قد انسحبت بفضل الضربات المصرية المركزة إلى الخط الذى أراده المصريون لها حيث القتال فى الأرض المفتوحة سيكون ضدها مدعوما بمظلة دفاعية للقوات المصرية بعمق 20 / 15 كم ...

إن ما حدث فى الأسبوع الأول من الحرب كان يمثلا مفاجئة كبيرة ، ليس فقط للعالم بل أيضا للجيش المصرى نفسه بسبب الدعاية التى فرضتها إسرائيل فى العالم ..

فى نهاية هذا الأسبوع حدثت ثلاث علامات سلبية كان يمكن أن تغير وجه الخريطة فى الشرق الأوسط لو درسها القادة المصريون جيدا فى مركز 10 - غرفة العمليات - واستخلصوا منها العبر ونذكرها فيما يلى :

العامل السلبي الأول (عصر 9 أكتوبر) :

قام اللواء الأول المشاة الميكانيكى من الفرقة 6 مشاة ميكانيكى بقيادة قائده العقيد صلاح زكى بالخروج عن مظلة الدفاع الجوى والتى كانت مقدره بـ 20 / 15 كم شرق القناة متجها إلى رأس سدر وتعتمد الإسرائيليون الانسحاب أمامه .. فى يومى 10 / 11 أكتوبر قام الطيران الإسرائيلى بشن هجمات مركزة عليه أدت إلى تدمير أغلبية قواته ..

(الدرس المستفاد هنا هو أن أى خروج للقوات المصرية من مظلة دفاعها الدفاع الجوى والتي سبب رعبا للطيران الإسرائيلى سيعنى نتائج تدميرها) ..

العامل السلبي الثانى (مساء 11 أكتوبر) :

طلب وزير الحربية المصرى - الفريق أول أحمد إسماعيل - من رئيس الأركان الفريق سعد الشاذلى تطوير الهجوم والوصول إلى المضايق والتي تبعد مسافة 40 / 50 عن خط القناة وبرر ذلك برغبة القيادة السياسية فى رفع الضغط على سوريا ورفض الفريق الشاذلى ذلك وذكره بما حدث للواء الأول مشاة .. فى ظهر 12 أكتوبر كرر وزير الحربية طلبه ورفضه الشاذلى للمرة الثانية ..

يقول الفريق الشاذلى فى كتابه " مذكرات حرب أكتوبر " أنه أخبر وزير الحربية ظهر 12 أكتوبر ما يلى :

" أمامى 8 ألوية مدرعة إسرائيلية وقاموا بتكوين 4 ألوية مدرعة جديدة فى العمق ، أى إننا نواجه الآن 12 لواء مدرعا فى سيناء .. اليهود لن يضطروا إلى سحب ألوية مدرعة إضافية من الجبهة السورية .. السوريون فى أوضاع أفضل منى ، ليس لدينا دفاع جوى متحرك يغطى قواتنا البرية إذا خرجت من المظلة إلا أعداد محدودة من سام 6 وهى لا تكفى لحماية قواتنا .. قواتنا ستكون فريسة للعدو إذا خرجت من المظلة ، سندمر قواتنا دون أن نقدم أى مساعدة لتخفيف الضغط على السوريين " ..

يذكر هنا أنه كان للقوات السورية 13 لواء مدرعا عربيا على جبة الجولان الصغيرة جدا مقارنة بجبهة سيناء الواسعة (8 سورية + 3 عراقية + لواء أردنى + لواء مغربى) فى مقابل 6 ألوية مدرعة إسرائيلية .. هذا بالإضافة إلى 4 أسراب عراقية (3 ميج 21 + 1 ميج 17) وفرقة مشاة عراقية ولواء مشاة سعودى ..

فى عصر 12 أكتوبر اتصل قائدا الجيش الثانى والثالث بالفريق الشاذلى وأخبراه بوصول رسائل من وزير الحربية تطلب منهما تطوير الهجوم وضرورة الحضور فى السادسة والرابع فى مركز 10 لمناقشة التفاصيل ، وأخبراه أيضا بمعارضتهما الشديدة لهذا القرار كما أخبره قائد الجيش الثانى - اللواء سعد مأمون للشاذلى - عن رغبته فى تقديم استقالته فى حال إجباره على هذا القرار .. حدث اللقاء ورفض وزير الحربية حجة القادة الثلاثة (الشاذلى - مأمون - واصل) وألزمهم بضرورة تنفيذ رغبة الرئيس فى تطوير الهجوم بهدف رفع الضغط عن سوريا .. حدد وزير الحربية الساعة السادسة صباح يوم 14 أكتوبر لتنفيذ قرار التطوير ..

جدير بالذكر أن خطة تطوير الهجوم لم تكن تعنى فقط خروج القوات المصرية من المظلة الأمنية حيث هلاكها يصبح مسألة وقت بل تعنى أيضا عبور فرق خط النسق الثانى إلى الشرق (وهو الخط الإستراتيجى لكل من الجيشين والذى أصبح يحتل خط النسق الأول على حافة القناة الغربى بعد عبور الفرق الخمس المشاة) وبالتالي فتح المجال لإسرائيل لتطبيق الخطة " غزالة " والتي تعلمها جيدا القيادة السياسية المصرية ..

العامل السلبي الثالث (بعد ظهر 13 أكتوبر) :

دخلت طائرة استطلاع أمريكية من طراز SR-71-A المجال المصرى على ارتفاع 30 كم من ناحية بورسعيد وطارت فوق قواتنا فى خط القناة حتى خليج السويس ثم اتجهت يمينا إلى الوادى ومنه شمالا حيث خرجت كما دخلت من البحر المتوسط .. لم تتمكن صواريخ الدفاع الجوى المصرى والتي يبلغ مداها 20 كم من التصدى لها .. (لو استوعبت القيادة العسكرية المؤيدة لقرار التطوير هذا العمل لأدركت أن الأمريكيين يبحثون عن ثغرة فوق قواتنا لدخول الإسرائيليين منها بهدف تنفيذ الخطة غزالة) ..

*** 14 أكتوبر :**

فى السادسة صباحا بدأ الهجوم المصرى وخرجت المدرعات المصرية والمشاة من مظلة الدفاع الجوى وأصبحوا يواجهون وحدهم تفوق المدرعات الإسرائيلية الذى حذر منه الشاذلى وفوق ذلك - وهو الأهم - السيادة الجوية الإسرائيلية التى تنتظر على أحر من الجمر لهذه الفرصة ..

في أقل من ساعتين تم تدمير 255 دبابة مصرية كان أغلبها في قطاع الجيش الثاني مع استشهاد عدة آلاف من قواتنا ومنهم معظم قادة ألوية المدرعات ..

(استشهد في هجوم 14 أكتوبر من الفرقة 21 المدرعة وحدها كل قادة ألويتها المدرعة وهم العقيد توفيق أبو شادي قائد اللواء المدرع الأول والعقيد نور الدين عبد العزيز قائد اللواء الثالث المدرع والعقيد مصطفى حسن قائد اللواء 22 مدرع ، كما أصيب العقيد محمد خليل رئيس أركان اللواء الأول المدرع وفقد بصره ، استشهد أيضا اللواء مهندس أحمد حمدي على أحد المعابر بسبب كثافة النيران الإسرائيلية .. وقد دفعت تلك الانتكاسة الميدانية المصرية الخطيرة إسرائيل إلى شن هجوم جوي مكثف قدر بـ 120 طائرة على القواعد الجوية في الدلتا عصرا وخاصة على مطار شاوه بالمنصورة)..

أصيب قائد الجيش الميداني الثاني اللواء سعد مأمون بعد الهجوم مباشرة وفي حوالى الثامنة صباحا بانهيار عصبى ناتج عن أزمة قلبية حادة بسبب الخسائر الفادحة التي تكبدها الجيش الثاني ونقل إلى الخطوط الخلفية وخلفه رئيس أركانه اللواء تيسير العقاد ثم تولى اللواء عبد المنعم خليل – قائد المنطقة المركزية والقائد السابق للجيش الثاني - مكانه بعد يومين ..

غادر الشاذلى عصر هذا اليوم القاهرة للمرة الثالثة منذ بدأ الحرب إلى الجبهة ، ليس بغرض تهنئة القوات كما فعل في السابق بل بناء على أوامر السادات بغرض رفع المعنويات التي انهارت ، كنتيجة أكدها القادة الميدانيون فى حال تطوير الهجوم وأصر السادات على مخالفتهم ..

يقول الفريق الشاذلى فى كتابه " مذكرات حرب أكتوبر " فى هذا الشأن ما يلى :

" مازال هناك الكثير من الغموض يحيط بهذا الموضوع ، هل كان قرارهم – يقصد السادات وأحمد إسماعيل – بتطوير الهجوم نتيجة جهل أم مغامرة أم خيانة؟! " ..

يقول الفريق عبد المنعم واصل فى كتابه " الصراع العربى الإسرائيلى ، مذكرات وذكريات " فى ص 232 ما يلى :

تأخر العدو فى القيام بهجومه المضاد – يقصد بدأ تنفيذ الخطة غزاة التى حكى عن بعض تفاصيلها – بسبب وجود الفرقتين المدرعتين 21 ، 4 فى الجبهة الغربية لقناة السويس " ..

يقول الفريق كمال حسن على فى كتابه " مشاوير العمر " فى ص 320 ما يلى :

لقد أصبح واضحا أن الرئيس السادات هو الذى كان يمسك بدقة بدفة الأمور بين يديه ، بدليل أنه أعطى أوامره باستئناف الهجوم لتخفيف الضغط على سوريا ، قام الفريق أول احمد إسماعيل بالاستجابة للأمر مباشرة مما أفرغ الضفة الغربية للقناة من معظم مدرعاتنا وهو الأمر الذى استغلته إسرائيل لعمل الثغرة .. لقد تناسى الفريق أول أحمد إسماعيل كل مخاوفه عن خروج القوات عن مظلة حماية الصواريخ المضادة للطائرات ..

ثم يضيف فى ص 325 ما يلى :

" من المبادئ الأولية للمدرعات هى أن الدبابات لا تصلح لمهاجمة النقاط الحصينة ، بالمصادفة كان قائدا الجيش الثانى والثالث – يقصد اللواء عبد المنعم واصل واللواء سعد مأمون – من سلاح المدرعات فنبها القيادة إلى خطر قرار الهجوم – يقصد هجوم التطوير فى يوم 14 أكتوبر – إلا أنه كان قد تقرر سياسيا " ..

كما يذكر فى صفحتى 319 ، 326 ما يلى :

" إن إسرائيل كانت قد تسلمت فى 12 أكتوبر من أمريكا صاروخا مضادا للدبابات لا مثيل له فى العالم يسمى تاو Tow وهو يحمل على سيارة جيب خفيفة وقامت بتدريب قواتها عليه فى أربع ساعات وجاء يوم 14 أكتوبر ليشهد تدمير أغلب الدبابات المصرية فى اليوم المذكور على يد هذا الصاروخ الذى كان مدها يصل إلى ثلاثة آلاف متر بينما مدى الدبابة فى حدود ألفى متر .. لقد تأكدت المخابرات الحربية من وجود هذا الصاروخ عقب التحقيقات التى جرت على عجل مع العقيد الإسرائيلى الأسير عساف ياجورى قائد اللواء 190 مدرع والذى كان قد تم أسره فى 8 أكتوبر " ..

(أجمع المؤرخون العسكريون أن المخابرات الألمانية قد أخفقت قبل الحرب العالمية الثانية فى جمع معلومات عن الدبابة الروسية T 34 فكانت هزيمة النازية بسبب تلك الدبابة ، نجد هنا نفس السيناريو يتكرر حيث أخفقت المخابرات المصرية فى معرفة تفاصيل الصاروخ تاو قبل الحرب ، رغم إقرار اللواء فؤاد نصار – قائد المخابرات الحربية وقت الحرب – بأن المخابرات المصرية علمت بتدريب القوات الأردنية عليه قبل حرب أكتوبر !!) ..

إذن نستطيع القول أنه وعلى الرغم تلك المعلومات الخطيرة التى توافرت لدى الجيش قبل هجوم 14 أكتوبر بوجود صارخ حاسم لدى إسرائيل ورغم ما تعبر عنه طائرة الاستطلاع الأمريكية فى اليوم السابق للهجوم من سيناريو قادم ورغم معرفة السادات بتفاصيل الخطة الإسرائيلية غزاة ، إلا أن السادات وبدلا من إلغاء الهجوم والإبقاء على قوات النسق الثانى فى غرب القناة مرة أخرى واصل المضى قدما فى خطته وأعطى الإسرائيليين فرصة ذهبية لمحاصرة جيشنا من الخلف !!

* 15 أكتوبر :

اقترح الفريق الشاذلى على وزير الحربية إعادة الفرقتين المدرعتين 21 ، 4 من الشرق إلى الغرب حتى يتم إعادة التوازن الدفاعى لقواتنا وقطع الطريق أمام الإسرائيليين لتنفيذ الخطة " غزاة " إلا أن وزير الحربية رفض .. كررت الطائرة الأمريكية السابقة الذكر طلعتها فوق قواتنا فى عصر اليوم .. أصبحت الظروف من وجهة النظر الإسرائيلية أفضل بكثير من يوم 13 أكتوبر وبدأت المدرعات الإسرائيلية فى مساء هذا اليوم فى التدفق إلى غرب القناة لتحقيق الخطة " غزاة " !! ..

* 16 أكتوبر :

وصلت إلى مركز 10 فى القاهرة أنباء فى الصباح الباكر بوجود دبابات إسرائيلية فى غرب القناة فى منطقة الدفرسوار تقوم بقصف بطاريات الصواريخ المصرية المتواجدة فى غرب القناة والتى تحمى قواتنا فى الشرق .. أمر الفريق الشاذلى على الفور اللواء 23 المدرع - المتواجد فى القاهرة كاحتياضى استراتيجى - بالتحرك فورا إلى منطقة الثغرة والتعامل مع القوات الإسرائيلية التى عبرت إلى غرب القناة .. عند الظهر ألح الشاذلى فى طلبه القديم بإعادة الفرقتين المدرعتين 4 ، 21 إلى غرب القناة ومعهما أيضا اللواء المدرع المستقل 25 بقيادة العقيد أحمد حلمى بدوى من الجيش الثالث للتعامل مع الموقف الجديد غرب القناة وتوجيه ضربة مركزة بتلك القوات إلى قوات العدو المتواجدة فى غرب القناة ، لكن وزير الحربية كان مازال مصرا على الرفض .. وصل السادات عصرا فانتهز الفريق الشاذلى الفرصة وشرح الموقف له وطريقة علاجه إلا أنه فوجئ بالسادات يصرخ فيه مهددا بمحاكمته عسكريا إذا كرر طلبه ..

يقول الشاذلى فى كتابه السابق " مذكرات حرب أكتوبر " فى هذا الشأن ما يلى :

" لقد أصابنى كلام السادات بجرح عميق ، جال بخاطرى أن أستقيل لكن كيف أترك قواتى فى أوقات الشدة ؟ لقد عشت معها فترات المجد ويجب أن أكون معها فى أوقات الشدة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، لقد ابتلعت كبريائى " ..

تقدم وزير الحربية بخطته لاحتواء الثغرة وهى توجيه ضربة من الشرق حيث تتواجد القوات المصرية إلى القوات الإسرائيلية المتواجدة فى الغرب وتحريك اللواء المدرع المستقل 25 بالجيش الثالث من مواقعه فى الشرق كى يتجه شمالا ليشترك فى الضرب من الشرق .. عارض الفريق الشاذلى بشدة تلك الخطة لأنها ستقضى على اللواء المدرع 25 وكانت خطته توجيه الضربة المركزة من الغرب عن طريق سحب اللواء المدرع المذكور حتى لا يقع فى فكى كماشة فى أرض ضيقة ويدمر ..

* 17 أكتوبر :

تلقى الفريق الشاذلى فى الثالثة من صباح اليوم اتصالا من اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث وأخبره بأنه لن ينفذ تعليمات وزير الحربية بتوجيه الضربة من الشرق بدلا من غرب القناة كما يجب لأنه بمثابة إنتحار جماعى لقوات اللواء المدرع 25 .. أقنع الفريق الشاذلى اللواء واصل بضرورة الامتثال لقرار الوزير لأنه فشل فى إقناعه .. وقد ذكر الفريق سعد الشاذلى فى كتابه السابق أن اللواء قانلا رد عليه قائلا " لا حول ولا قوة إلا بالله ، سأنفذ أوامره ولكننى أقولها مسبقا بأن هذا اللواء سيدمر " ..

تم تدمير أغلب دبابات اللواء المدرع 25 مع استشهاد المئات من ضباطه وجنوده فى فترة قصيرة لوقوعه فى منطقة محصورة وضيقة حددها له الوزير حيث ضفة القناة على يساره والتلال على يمينه وهو ما أدى إلى فتح النيران المركزة عليه من المدرعات الإسرائيلية وكذلك من القوات الجوية الإسرائيلية التى كانت قد بدأت فى فتح ثغرة جوية بعد تدمير بعض بطاريات الصواريخ المصرية غرب القناة ..

يقول الفريق كمال حسن على فى كتابه " مشاوير العمر " فى ص 342 ، 343 ما يلى :

" كان قرار دفع اللواء المدرع 25 مستقل من قطاع الجيش الثالث إلى اتجاه الشمال على الضفة الشرقية للقناة بدلا من الضفة الغربية لإغلاق مدخل عبور الإسرائيليين قرارا غير واقعى مما عرضه لهجوم الدبابات الإسرائيلية التى كانت تتحرك بموازاته خلف التلال .. كان دفع هذا اللواء إلى الضفة الشرقية للقناة فكرة غير صائبة لأن طريقه هناك كان ضيقا بمحاذاة البحيرات المرة بالإضافة إلى حرمانه تغطية من مدفعية الجيش الثالث ، وللحق فإن اللواء عبد المنعم واصل عارض بشدة تحريك اللواء المدرع ولكنه اضطر لتنفيذ التعليمات بعد أن قطعت عليه القيادة كل سبل المعارضة مما أدى إلى تحمل هذا اللواء إلى خسائر فادحة وصلت إلى تدمير 80 % من دبابته ، كان الرئيس السادات شخصا هو المعارض لنقل هذا اللواء إلى الغرب بدلا من الشرق لمواجهة الثغرة " ..

يقول الفريق الشاذلى فى كتابه " قصتى مع السادات " فى ص 72 ما يلى :

" وقع اللواء 25 مدرع فى كمين للعدو قامت بتنفيذه فرقة مدرعة وتم تدميره تدميرا تاما ولم ينج من هذه المجزرة سوى 25 دبابة " ..

كما يقول فى كتابه " مذكرات حرب أكتوبر " ما يلى " :

" أمر السادات أن يتم التعامل مع أفراد اللواء المدرع 25 على أنهم جناء للتغطية على قراراته العسكرية الكارثية التى اتخذها بدفعهم إلى معركة خاسرة " ..

*** 18 أكتوبر :**

أكملت إسرائيل بناء كوبرى ترابى فوق القناة .. تم تدمير اللواء المدرع 23 الذى حضر من القاهرة وكان بها كإحتياطى إستراتيجى وأصيب قائده العقيد حسن عبد الحميد بسبب ضالة قواته التى كانت تواجه أكثر من فرقة مدرعة إسرائيلية غربا مع سيطرة جوية بدأت تتحرك بحرية بسبب إتساع حجم الثغرة الجوية الناتجة عن ضرب صواريخ الدفاع المصرى..

أخذت طلائع فرقة الجنرال إبراهيم آدان المدرعة فى الظهور متجة جنوبا إلى السويس لمحاصرة الجيش الثالث بينما كان الجناح الأيمن للجيش الثانى - الفرقة 16 مشاة - يتعرض للتطويق من الخلف من قبل فرقة شارون التى كانت تتحرك شمالا .. وصل السادات إلى مركز 10 فى الثانية ظهرا وطلب من الفريق الشاذلى التوجه فورا إلى الجيش الثانى لرفع المعنويات .. كان الطريق إلى القاهرة قد أصبح مكشوبا ..

يقول الفريق الشاذلى فى كتابه " مذكرات حرب أكتوبر " ما يلى :

" أدرك السادات عصر هذا اليوم بضرورة عودة الفرقة المدرعة الرابعة إلى الغرب لكنه كان ما زال رافضا لسحب ما تبقى من اللواء المدرع 25 إلى الغرب رغم خسائره ومعنوياته الهابطة .. لم يعد الآن يكفى سحب تلك الفرقة إلى الغرب لأن العدو كان قد أصبح يتواجد بفرقتين مدرعتين فى غرب القناة " ..

وصل الفريق الشاذلى إلى قيادة الجيش الثانى فى الساعة 5.30 عصرا للحيلولة دون تطويقه .. قدم اللواء المظلى 150 بقيادة العقيد إسماعيل عزمى مع كتيبتى صاعقة مصرية واللواء المدرع 15 والقوات الجزائرية الخاصة والمدرعة (اللواء الجزائرى الثامن المدرع واللواء 12 الجزائرى مشاة ميكانيكى) بطولات تفوق التصور وتمكنوا من وقف تقدم شارون وتكبدت القوات العربية فى هذا اليوم خسائر تفوق التصور من جنودها وقادتها .. أدرك السادات متأخرا أهمية سحب فرقتى المدرعات إلى

الغرب لكنه اقتصر ذلك على الفرقة المدرعة الرابعة فقط ..

* 19 أكتوبر :

واصلت فرقة إبراهيم آدان المدرعة طريقها جنوبا إلى السويس مستفيدة من تدمير صواريخ الدفاع الجوى المصرى غرب القناة وبالتالي سيادتها الجوية .. فرقة شارون المدرعة تواصل محاولاتها فى التوجه شمالا لتطويق الجيش الثانى لكنها تصطدم بمقاومة قل نظيرها من قوات مصرية وجزائرية يقودها الفريق الشاذلى بعد أن رفض العودة إلى القاهرة .. سقط فى هذا اليوم شهداء ستذكرهم الأجيال بعد الخروج من النفق المظلم الذى تقيد فيه مصر الآن بحروف من نور ونار ..

من هؤلاء البطل العقيد صاعقة إبراهيم الرفاعى قائد المجموعة 39 مع رجاله من القوات الخاصة الذى يعرف كل الإسرائيليين ماذا أوقع فيهم ومنهم أيضا الشهيد العميد أحمد عبود الزمر قائد الفرقة 23 مشاة ميكانيكى وكذلك الكثير من مقاتلى الجيش الجزائرى ..

* 20 أكتوبر :

دفع الإسرائيليون بفرقة مدرعة ثالثة غرب القناة بقيادة الجنرال كلمان ماجن وكانت مهمتها الإجهاز على تدمير ما تبقى من كتائب الصواريخ المصرية غرب القناة وتأمين مؤخرة الجنرال إبراهيم آدان المتجه جنوبا إلى السويس ومساعدة مقدمة الجنرال شارون الذى يحاول الإتجاه شمالا إلى الإسماعيلية ...

كان الموقف فى غرب القناة يهدد بكارثة حقيقية حيث بدأ الضغط يشتد على الفرقة الرابعة المدرعة وحدها فى مواجهة تلك الفرق بينما تقاوم بمحاولات مستميتة لمنع محاصرة الجيش الثالث وفى نفس الوقت فى حماية الطريق إلى القاهرة .. أصبح الطيران الإسرائيلى يسيطر على سماء المنطقة بعد أن دمر كل بطاريات الصواريخ المتواجدة فى ظهر الجيش الثالث ، وقد دفع ذلك إلى تدخل الطيران المصرى – الغير مؤهل لتلك المنازلة – فى محاولات يائسة لوقف إنهيار الموقف بصورة كاملة وهو ما أدى إلى سقوط 19 طائرة مصرية فى معركة جوية واحدة ..

عاد الشاذلى إلى مركز 10 بالقاهرة فى العاشرة مساء بعد أن أمضى يومين فى قيادة الجيش الثانى وحال دون تطويقه وفتح الطريق إلى القاهرة ..

أخبر الفريق الشاذلى فور عودته وزير الحربية بأن مصر مقبلة على كارثة محققة إذا لم يتم سحب 4 ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب فوراً ، لأن حياة 45 ألف مقاتل - وهم مقاتلوا الجيش الثالث - ستكون فى يد إسرائيل التى أصبح يتواجد لها غرب القناة ثلاث فرق مدرعة ولن تصمد أمامهم الفرقة الرابعة المدرعة وحدها التى سحبت متأخرة إلى الغرب ، وسيواجه الجيش الثانى نفس المصير فى مرحلة تالية ..

طالب قائد المدفعية اللواء محمد الماحى بحضور رئيس الجمهورية فوراً للوقوف على الموقف .. وصل السادات فى الحادية عشر واجتمع على الفور لمدة ساعة مع وزير الحربية وخرج كى يقول أمام قادة العمليات " لن أسحب جندى واحد من الشرق " وأخذ طريقه فى الانصراف .. رفض الفريق الشاذلى إشارات من بعض المتواجدين تطلب منه التعقيب بسبب توتر الموقف ..

* 21 / 22 أكتوبر :

القوات الإسرائيلية تركز هجومها فى اتجاه السويس .. السادات يستنجد بالسوفييت لحث أمريكا على إلزام إسرائيل بوقف القتال (شهد الأسبوع الأول من القتال – 9 أكتوبر - حادثة بينه وبين السفير السوفيتى وفيها تعامل السادات معه بصلف وأهانته وخرج السفير شبه مطرود من الجلسة) .. الموقف يزداد سوءا فى قطاع الجيش الثالث الذى بدأ يتلقى ضربات غربا من الخلف وشرقا من الأمام مع ضربات جوية مركزة مما تسبب فى مئات من الشهداء وخسائر فادحة فى الآليات المكشوفة فى الصحراء .. فى الساعة 6,52 مساء من مساء 22 يصدر مجلس الأمن القرار 338 والذى يقضى بوقف إطلاق النار بين المتحاربين ..

يقول السيد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي فى ص 347 فى كتابه " أمن مصر القومى " ما يلى :
" لم أكن أعرف تماما ماذا يحدث حتى نتحرك بهذه السرعة نحو قبول وقف إطلاق النار " ..

(جدير بالذكر أن وزير الحربية كان ينشر بين الوزراء قصصا تقلل من حجم الثغرة ويدعى أن الأمر لا يزيد عن سبع دبابات)
وجارى العمل على الخلاص منها وهو ما أدى إلى بعض الصدامات بينه وبين الفريق الشاذلى .. لم يكن من المستغرب إذن أن
مستشار الأمن القومى – وهو ضابط سابق ومحترف فى الجيش المصرى – لم يكن يعرف حقيقة ما يجرى غرب القناة بسبب "
التضليل " الذى مارسه الفريق أول أحمد إسماعيل من خلال التقليل من حجم كارثة الثغرة فى الغرب والذى جاء كنتيجة مباشرة
للضغوط التى مارسها السادات عليه وقبلها راضيا) ..

* 23 أكتوبر :

أصدر مجلس الأمن القرار رقم 338 والذى يقضى بوقف القتال ، لكن إسرائيل رفضت تنفيذه وواصلت تقدمها إلى السويس وبلغ
تحديها أن أضاعت أنوار مدرعاتها عند الغروب وقبل حلول الظلام بينما كانت قواتنا الإدارية فى الخطوط الخلفية تنظر إليها من
بين الأشجار دون القدرة على فعل شيء .. الهجوم برا من الأمام والخلف وجوا يتواصل وبشدة على الجيش الثالث ..

**يذكر الفريق واصل فى كتابه " الصراع العربى الإسرائيلى : مذكرات وذكريات " فى ص310 أنه جرى اتصال تليفونى فى
الساعة 10.24 من صباح 23 أكتوبر بينه وبين وزير الحربية الفريق أحمد إسماعيل وفيه سمع اللواء واصل لأول مرة منه عن
فكرة إرسال الفرقة الرابعة إلى الشرق مرة أخرى لمساعدة الفرقتين المحاصرتين الـ 19 ، 7 مشاة وعن قيام الطيران المصرى
بعمل مظلة جوية لحماية الجيش الثالث فرد عليه اللواء واصل بالقول " بعد إيه ، بعد ما خربت مالمطة " لكن الوزير لم يرد ! ..**

(كان وزير الحربية يعلم جيدا أن قدرات القوات الجوية المصرية - سواء من حيث طائراتها المتواضعة أو من حيث طياريتها)
قليلى التدريب – غير مؤهلة لملاقاة مثلتها الإسرائيلىة وتنفيذ تلك المظلة الجوية التى وعد بها قائد الجيش الثالث ، ولو فعلها لأباد
القوات الجوية دون شك ، هذا من ناحية .. من ناحية أخرى فإن العاقل – حتى لو كان غير متخصص - يقول أن المظلة الأكثر
أمانا والأكثر فاعلية كان موجودة فعلا على الأرض ممثلة بصواريخ الدفاع الجوى ، لكن السادات أربك بقرارته الصبيانية عمل
القادة الميدانيين وتسبب فى محاصرة الجيش الثالث ومقتل عدة آلاف من أفراده وتدمير أغلب معداته ، وكاد ذلك أن ينطبق على
الجيش الثانى أيضا ، ووافق فى ذلك وزير حربيته .. إننا ندعو المختصين أن يتقوا الله ويفكوا لنا هذا اللغز بقول الحقيقة ، كان
لغزا وقتها لكنه الآن لم يعد كذلك) ..

* 24 أكتوبر :

السادات يستجدى السوفييت مرة ثانية للضغط بهدف وقف القتال فيرسلون بيانا شديدا للهجة إلى نيكسون ويرفعون درجة
الاستعداد فى ست فرق مظلات فى أوروبا ويرد الأمريكيون بإجراء مماثل ويقف العالم على شفى حرب عالمية ثالثة قد تنهى الحياة
على الأرض ..

تعرضت قيادة الجيش الثالث المتواجدة فى الغرب إلى التدمير ونجا قائده اللواء واصل من الموت بأعجوبة .. أصدر مجلس الأمن
فى ذات اليوم القرار 339 ويقضى بوقف إطلاق النار فتقبله إسرائيل لأنها كانت قد دخلت مدينة السويس وأكملت حصار الجيش
الثالث كورقة رابحة وفعالة فى فرض شروط مهينة للتفاوض ..

بانتهاى يوم 24 أكتوبر كانت إسرائيل قد انتهت من حصارها التام على قوات الجيش الثالث ووضعت خمسة وأربعين ألف مقاتل
مصرى فى قبضتها .. ربحت إسرائيل بهذا العمل الذى حضرت له منذ 16 أكتوبر ورقة هامة فى فرض إرادتها العسكرية على
القيادة المصرية وهو ما سيكون له الأثر الفاعل – كما سنرى لاحقا - فى رسم إرادتها بالمنطقة وتهديد الأمن القومى المصرى
وإخراج مصر من دائرة الصراع العربى الإسرائيلى وضياع الحقوق الأساسية للمسلمين وأهمها القدس ..

* 25 / 26 أكتوبر :

الجيش الإسرائيلي يتواجد فى السويس بقوة تقدر بفرقة مدرعة ولواء مظلى .. العميد يوسف عفيفى قائد الفرقة 19 مشاة يصدر أوامره بإرسال العديد من صاندى الدبابات إلى السويس ... العدو يخسر ثلاثين دبابة إسرائيلية فى شوارع السويس مع مقتل مائة من جنوده وجرح 500 ومحاصرة العديد من جنود المظلات الإسرائيليين داخل بعض الأحياء بفضل المقاومة الشعبية ورجال الفرقة 19 ..

يجتمع المجلس العسكرى فى 26 أكتوبر برئاسة وزير الحربية وبغرض إنقاذ الجيش الثالث ويحضر الاجتماع العميد قابيل قائد الفرقة الرابعة المدرعة وكذلك اللواء واصل قائد الجيش الثالث .. الوزير يطلب من العميد قابيل القيام بعملية عسكرية لفك الحصار عن الجيش الثالث .. اللواء واصل يرد بأن ذلك معناه التدمير التام للفرقة من الجو والبر ، العميد قابيل يقول " إننى ورجالى على استعداد للقيام بتلك العملية الانتحارية لكننا لن ننجح فى فك الحصار وستدمر الفرقة وسيفتح الطريق بذلك إلى القاهرة " ... يسأله الوزير " ماذا عن الطرق الفرعية التى يمكن أن تستخدمها لإيصال المساعدات إلى المحاصرين ؟ " ..

يقول الفريق الشاذلى الذى كان يجلس صامتا فى كتابه "مذكرات حرب أكتوبر " ما يلى :

" لقد كدت أصعق وأنا أستمع إلى كلام وزير الحربية وهو يدلى بهذا القول ، إن مثل هذا الكلام لا يصدق من شخص بكامل قواه العقلية ، فكيف يصدر من وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ؟! " ..

يشرح الفريق الشاذلى أسباب صدمته بسماع كلام وزير الحربية فى كتابه السابق بقوله ما يلى :

" إن 45 ألف رجل محاصرين يحتاجون يوميا إلى 150 طن من الطعام والشراب وهذه كمية تحملها يوميا 100 سيارة نقل ، وإذا كان العدو يملك السيطرة الجوية والبرية ، وهو كذلك ، فكيف تتمكن الفرقة الرابعة المدرعة من إدخال تلك الكميات يوميا دون رصدها ؟! " ..

تناول الوزير ورقة يأمر فيها العميد قابيل بتنفيذ أمر نقل الإمدادات وطلب من الفريق الشاذلى أن يوقع عليها ، رفض الفريق الشاذلى ، فهدهد الوزير بأنه سوف يقوم بإخطار رئيس الجمهورية .. رد الفريق الشاذلى بهدهء " تستطيع بكل تأكيد فعل ذلك " .. تدارك الوزير الموقف وقام بالتوقيع على الأمر وسلمه إلى العميد قابيل لكنه لم ينفذ لإلغاء المهمة بسبب وصول أنباء عن بدأ وصول قوات الأمم المتحدة ..

*** 27 أكتوبر :**

تعرضت مدينة السويس فى هذا اليوم إلى موجات متتالية من القصف الجوى المركز أدت إلى استشهاد 80 فرد أغلبهم من المدنيين إنتقاما من الخسائر الإسرائيلية فى الأفراد والمعدات فى شوارع مدينة السويس ثم توقف قصف فى صبيحة اليوم التالى بسبب وصول قوات الأمم المتحدة ..

يدخل السادات منذ وصول قوات الأمم المتحدة مرحلة أخرى ، أظن أنها كانت كامنة فى جوفه منذ توليه سدة الحكم ، ولا نبالغ إذا قلنا أنها كانت المرحلة الأكثر عمقا فى خطورتها على الأمن القومى المصرى ..

سنرى فى الحلقة القادمة إن شاء الله ، فإلى اللقاء ..

رائف محمد الويشى

سانت لويس - ميزورى - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلى :

www.thowarmisr.com